دراسة في علم غريب الحديث

د. مصطفى إسماعيل مصطفى سعيد العبيدي

كلية أصول الدين/ قسم الحديث

المقدمة

الحمدُ لله الذي فَلَقَ الحَبّة وبَرَئ النَّسْمة، الحكيمِ فيما أنشأ ودبَّرَ، الخبيرِ بما قَدَّمَ وأخَّرَ، يخلقُ ويختارُ وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار، والصلاةُ والسلام على سيدِ الخَلْقِ وحبيبِ الحَقِّ، سيِّدنا وقُدْوتنا وأُسْوتنا محمد رسولِ الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فقد تناولت في هذا البحث دراسة مفردة (غريب الحديث)، أحاول من خلالها تسليط الضوء على فنّ من فنون الحديث النبوي، كان لعلمائنا اهتمام كبير به، بل أفنى بعضهم عمره في جمعه وشرحه والتأليف فيه، يهدفون بذلك مرضاة الله تبارك وتعالى وخدمة الدين الحنيف.

وقد وقفت في بداية جمعي لمادة البحث على مؤلفات متعددة في الموضوع، فاقت ما تخيلته أولاً، فكان هذا حافزاً لي لمواصلة الكتابة وإتمامه، فضلاً عن سعة موضوع الغريب وتشعبه، فوجدت أنه يمكن الخوض فيه بدراسات كبيرة، ولم أجد من طلبتنا من قام بتقديم رسالة جامعية فيه بتفاصيل طويلة، وخصوصاً في قسم الحديث وعلومه، ولعلي أفتح الباب أمامهم ببحثي هذا.

وجعلتُ الدراسة تتركز على بيان مفهوم الغريب في الحديث، والكشف عن معناه، وجهود العلماء في جمع الألفاظ الغريبة، ومناهج العلماء في تدوينها، مستعيناً بما وقفتُ عليه من كتب الأقدمين والمُحْدَثين في هذا الباب.

ويمكن التوسع بدراسات أخرى في مجال الغريب، بتناول مؤلفات الغريب كلّ كتاب لوحده، وذلك ببيان منهج مؤلفه فيه وموارده التي استقى كتابه منها، مع عقد مقارنة بينه وبين الكتب الأخرى في المجال ذاته. وستكون هكذا دراسات نافعة جداً، مع طولها، إنْ شاء الله تعالى.

وفقنا الله لعمل ما يرضيه، وجعلنا من أهل البر والتقى، والحمد لله وحده.

المبحث الأول
مفهوم الغريب وأهمية معرفته

مدخل

معلوم أنَّ الألفاظ اللغوية هي أداة التواصل بين الأفراد والتي يُعبِّر بها كل إنسان عما في جنانه بواسطة آلة التلفظ اللسان، إذ أنَّ اللفظ يجسد ما في النفس. وبفِهْم مدلولات ومعاني الألفاظ يتوقف عليها كثير من الأمور فيما يخص التخاطب بين الأمم.

وقد نَوَّه أهلُ العلم إلى أنَّ ما يلزم لمعرفته في الكلام هو معرفة ألفاظه ومعرفة معانيه وأنَّ معرفة الألفاظ مقدمة في الرتبة لأنَّها الأصل في الخطاب وبها يحصل التفاهم، فإنها إذا عُرِفَت ترتبت المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أولى(١)، وهي خزائن المعاني وحاضنة المعارف على مرِّ الأيام.

ثم إنَّ الكلامَ في طبيعته فيه الواضحُ الذي يفهمُهُ كلُّ سامع عَرَفَ كلامَ العرب، وفيه المُشْكِل الذي لا يَفْهَمُهُ إلا العربي الخالص أو العالم المُدَقِّق، وقد قال الإمام أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: «أما واضحُ الكلام فالذي يفهمُه كلُّ سامع عَرَفَ ظاهرَ كلام العرب، كقول القائل: (شربتُ ماءً ولقيت زيداً...) وهذا أكثرُ الكلام وأعمُّه. وأما المُشْكِل فالذي يأتيه الإشكال من غَرابة لفظه أو أنْ تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائلُهُ على جهته، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدد، أو أن يكون وَجيزاً في نفسه غير مَبْسوط، أو أن تكون ألفاظه مشتركة:

– فأما المشكل لغرابة لفظه، فقول القائل: يَمْلَخُ في الباطل مَلْخاً، يَنْفُضُ مِذْرَوَيه»(٢).

–ومنه في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾(٣) و﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾(٤) و﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾(٥) و﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾(٦) وغيره مما صنّف علماؤنا فيه كتب غريب القرآن.

–ومنه في حديث النبي ﷺ: «**على التِيعَة شاة، والتّيمة لصاحبها، وفي السُّيُوب الخُمُس، لا خِلاط، ولا وِراط، ولا شِناقَ، ولا شِغارَ، من أجْبَى فقد أربَى، وهذا كتابُهُ إلى الأقيال العباهلة**»(٧).

ومنه في شعر العرب:

وقــاتم الأعمــاق شــأز بمــن عَــوَّه مضــبورةٍ قَــرواء هِرْجــاب فُنُــق[٨]

وفي أمثال العرب: «باقعة، وشراب بأنقع، ومُخْرَنْبقٌ ليَنْباع»[٩]. ولما كانت طبيعة الكلام فيه الواضح الذي يفهمه كل سامع أو قارئ، وفيه المشكل الذي لا يفهمه إلا العربي الخالص أو العالم المدقق، وقد تضمن كلام الله عز وجل وحديث رسوله ﷺ وآثار الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم ألفاظاً غريبة، فإنَّ الحاجة أضحت ملحة إلى تتبع هذا الغريب في مواطنه وتفسيره وتوضيح المراد منه خدمة للعقيدة وإظهاراً للدين بعد أن أتم الله نوره، وجاوز الإسلام حدود جزيرة العرب ودخل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم في دين الله أفواجاً وأصبح الإسلام لأهل البلاد المفتوحة ديناً والقرآن دستوراً والحديث نوراً والعربية لساناً وتسربت لُكْنة غير العرب إلى العرب وترتب على ذلك دائرة الألفاظ الغريبة بالنسبة للكثير من أبناء الإسلام.

حينئذ قيض الله تعالى لدينه الحنيف ولكتابه العزيز الذي هو منزل بلغة العرب وللسنة النبوية، نخبة من أئمة العلماء، فألفوا في غريب القرآن وغريب الحديث وغريب اللغة، وفسروا الشعر والأمثال، وزودوا المكتبة العربية بالكثير من الكتب الخاصة للغريب والأبواب والفصول التي جاءت في ثنايا أمهات الكتب طالبين بذلك خدمة الدين وثواب الله العظيم[١٠].

وكان بواكير تدوين الألفاظ اللغوية الغريبة ما جُمِعَ في كُتُب غريب القرآن وفي طليعتها كتاب عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ)[١١] الذي عُدَّ اللبنة الأولى في البناء لهذا الفن، ثم توالى التأليف في ذلك فعُرِفَت كتب لها مناهج متنوعة في الترتيب واختيار الألفاظ، منها كتاب (غريب القرآن) لأبي عبيدة مَعْمَر بن المُثنى(ت٢٠٩هـ)، وكتاب (غريب القرآن) لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ) وكتاب (غريب القرآن) لابن قُتيبة الدِّيْنوري (ت٢٧٦هـ) وغيرها. وامتد بعد ذلك هذا النوع من التأليف اللغوي إلى الحديث النبوي فكان منها مؤلفات متعددة ككتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّم، وكتاب (غريب الحديث) لابن قُتيبة الدِّيْنوري، وكتاب (غريب الحديث) لأبي سُليمان الخطابي(ت٣٧٨هـ)، وكتاب (الفائق في غريب الحديث) للزمخشري (ت٥٣٨هـ) وغيرها[١٢]. كما ألف في غريب اللغة مؤلفات منها كتاب (غريب اللغة) لعليّ بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ) وكتاب غريب الحديث والكلام الوحشي للأصمعي (ت٢١٦هـ) وغيرها[١٣].

وقد شَرَطَ العلماءُ على كل متصدّ للعلوم الشرعية والفتيا لا بد من إلمامه بدلالات الألفاظ ومعرفة معانيها والتمييز بين الواضح والوحشي من الكلام، فقالوا: «إنَّ العلم بلغة العرب واجبٌ على كلّ متعلق من العلم بالقُرآن والسُّنة والفتيا بسبب، حتى لا غنى لأحد منهم عنه، وذلك أنَّ القُرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عز وجل وما في سُنّة رسول الله ﷺ من كل كلمة عربية، أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدّاً»(١٤).

وقبل الخوض في مؤلفات غريب الحديث ومناهج العلماء فيها لا بدّ من تسليط الضوء على مفهوم الغريب في الحديث(١٥) وغيره، فأقول وبالله التوفيق.

تعريف الغريب لغة

إنَّ الجذر (غرب) المتكون من الغين والراء والباء، يأتي له معانٍ متعددة، من ذلك: الذَّهاب والتنحي، والبُعْد، والغموض، والحِدَّة، جاء في (لسان العرب): «الغَرْب: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَب عنا يَغْرُب غَرْباً، وغَرَّب، وأغْرَب، وغَرَّبه وأغربه إذا نحّاه. وفي الحديث: أن النبي ﷺ أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصن، وهو نفيه عن بلده. والغَرْبة والغَرْب: النوى والبعد. وأغرب القوم انتووا، وشأو مغرب ومغرَب بفتح الراء بعيد. والخبر المُغْرَب: الذي جاء غريباً حادثاً طريفاً. والغربة والغرب: النزوح عن الوطن والاغتراب. وغريب بعيد عن وطنه الجمع غرباء والأنثى غريبة. والغريب: الغامضُ من الكلام، وكلمة غريبة، وقد غربت. وأغرب الرجل إغراباً إذا جاء بأمر غريب. والغَرْبُ والغربة: الحِدة، ويقال لحد السيف غَرْبٌ»(١٦).

وأما الغريبُ من الكلام، يستعملُ عند العلماء على وجهين:

أحدهما: أنْ يراد أنَّه بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفَهْم إلا بعد معاناة وفِكْر.

والثاني: أنْ يراد به كلام من بَعُدَت به الدارُ ونأى به المحلُّ من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت الكلمة من لغتهم استغربها من ليس يفقَهُها، وإنما هي من كلام تلك القبيلة وبيانهم. وعلى هذا ما ذكره الإمام الخطابي عن بعضهم وقال له قائل: «أسألك عن حَرْف من الغَرِيب فقال: هو كلامُ القوم، إنما الغريبُ أنت وأمثالك من الدُّخَلاء فيه»(١٧).

والخلاصة: إنَّ الغريب في الكلام تلك الألفاظ الغامضة التي بَعُدَ معناها لقلّة دورانها والتلفظ بها واستعمالها بين الناس، والتي يصعب إدراك المراد منها ويُشْكِل فهمُها ولا يظهرُ معناها إلا بعد التفتيش والبحث عنها.

ويكون الغريب في كلام الناس عامة وفي شعرهم ونثرهم وأمثالهم.

وكذلك يكون في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي(١٨)، وهو ما سأتناوله في الفقرة اللاحقة.

تعريف غريب الحديث اصطلاحاً

خصّص الحافظ ابنُ الصلاح النوع الثاني والثلاثين من كتابه (علوم الحديث) في المصطلح، للحديث الغريب، وقال في تعريفه: «هو عبارةٌ عما وَقَعَ في مُتُون الأحاديثِ من الألفاظ الغامضة البَعِيدة من الفَهْم لقلةِ استعمالها»(١٩).

وعرّفه السَّخَاويُّ: «بأنه ما يَخْفَى معناهُ من المُتون لقلةِ استعمالِهِ ودورانهِ بحيثُ يَبْعُدُ فهمُهُ، ولا يَظْهرُ إلا بالتفتيش في كتب اللُّغة»(٢٠).

وقال الإمام الزَّمَخْشَري عنه هو: «كَشْف ما غَرُبَ من ألفاظهِ واستَبْهَم، وبيان ما اعتاصَ من أغراضه واستعجم»(٢١).

وهذه الأقوال التي سقناها تبين أن الغريب في الحديث النبوي هو كالغريب في كلام الناس من حيث المفهوم، أي أن الغاية من شرح الغريب هو توضيح ما غرب من اللفظ في الكلام النبوي.

وهما يفترقان في كون اللفظ في الحديث النبوي له دلالة شرعية فضلاً عن الدلالة اللغوية، ويترتب على معرفة الدلالة الشرعية تعلّق الأحكام الدينية به والامتثال إلى أوامر الشارع بشكل صحيح.

صعوبة تفسير الغريب

نبه العلماء على صعوبة تفسير الغريب، وأنه لا ينبغي الخوض فيه رجماً بالظن، وعلى من يتصدى لتفسير غريب الحديث أن يكون محيطاً بالعلوم الشرعية ولغة العرب ولسانهم وعلوم البلاغة وغيرها، لأن الألفاظ النبوية لها دلالات مخصوصة من حيث الحقيقة والمجاز والدلالات الشرعية(٢٢).

أهمية معرفة غريب الحديث

إن جَمْعَ الغريبِ من الحديث والأثر وشرحه وترتيبه موضوع أفرد له العلماء ناحية خاصة بين علوم اللغة والحديث، وما زالوا على مرّ الزمن يستقرئون ويستوعبون ويصنفون الكتب ويضعون المعاجم كلّ على طريقته الخاصة حتى بلغوا الغاية فيه.

ومعرفة غريب ألفاظ الحديث من المهمات المتعلقة بفهم الحديث والعلم والعمل به، وقد بين العلماء أهمية الإحاطة به وتدوينه، لئلا يقع المتعرض له في تحريف الكلم عن مواضعه والقول على الله بغير علم.

قال الحافظ السخاوي: «وهو من مُهمات الفنّ لتوقف التلفّظ ببعض الألفاظ فضلاً عن فهمها عليه، وتتأكد العناية به لمن يروي بالمعنى»(٢٣).

وقد أشارَ جملةٌ من العلماء إلى أهمية هذا العلم وأنه فنّ يَقْبُح جهلُه للمحدثين خصوصاً، وللعلماء عموماً ويجب أنْ يُتَثبّت فيه ويُتَحرّى(٢٤)، بينما ذهب الإمام العز بن عبد السلام إلى أنَّ غريبَ الحديث من مقدمات العلوم وأدخله في أقسام العلوم الواجب الاشتغال بها(٢٥).

ووجه القبح في جهله وترك الاشتغال به أنَّ طالب الحديث إذا أهمله لم يكد يسلم من التصحيف وسوءِ التأويل، ومن المعلوم أن في متون الأحاديث ألفاظاً غامضة المعنى ومنها ألفاظاً متشابهة في الصورة والخط ومتنافية في المعنى، فحق على طالب الحديث أن يرفق في تأمل معاني الكلام النبوي ويحسن تتبع أقوال العلماء في اللفظة الواحدة للوصول إلى أوامر الشارع وفهمها فهماً دقيقاً.

فمن أمثلة تصحيف بعض الرواة بسبب إهمالهم لهذا الباب الحديث الذي رُوِيَ بلفظ: «**إنْ صُمْتُم حتى تكونوا كالأوتار وصليتم حتى تكونوا كالحَنَائِر**» رواه (الجنائز)، وإنما هي

الحَنَائر جمع حَنِيرة، وهي القوس لا وتر عليها، والحنيرة أيضاً: الطاق المعقود من طيقان البناء[٢٦].

وبعد هذا لا شك أنَّ أهمية هذا العلم تبقى ببقاء الألفاظ النبوية وعلى مدار الأزمنة المختلفة، خاصة وأنَّ الناس يزدادون عُجْمَة وغرابة لكلامه ﷺ بابتعادهم عن زمان نزول الوحي. ولذلك قلما نرى في يومنا كتاباً أو بحثاً يتضمن حديثاً إلا وكان شرح الغريب من المهمات فيه، وترك تناوله وبيانه خلل لابد من معالجته.

مصطلح (الحديث الغريب) و(غريب الحديث)

وهذان مصطلحان مختلفان كلياً، وكل منهما يدل على فن مستقل بذاته، وله مؤلفات مخصوصة به، ولا بد من التفريق بينهما.

فالحديث الغريب: كما عرفه العلماء هو ما ينفرد بروايته واحد من رواة الحديث في سلسلة الإسناد بأي طبقة من طبقاته، وهو مصطلح دراسته متصلة بالسند غالباً، وقد تتصل بالمتن من حيث الزيادة والاختلاف في الرواية، وهذا الفن ينتمي إلى علوم الحديث[٢٧].

أما **غريب الحديث:** فهو تفسير وتوضيح ما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ وقد يضاف إليه ما جاء في آثار الصحابة وأقوال التابعين رضوان الله عنهم من ألفاظ غريبة وكلمات مُشْكِلة والتعريف بمعانيها وضبط بنيتها والوقوف على تصريفها واشتقاقها وتأليف حروفها، وهذا من مهمة أهل اللغة، فهو بهذا ينتمي إلى علوم اللغة.

وأما المُحدِّثون فإنما يتناولون ذكر هذا النوع في كتب مصطلح الحديث للتعريف بأهميته لطالب العلم، ولينبهوا إلى أنه لا غنى لهم عنه، ولبيان المصنفات المكتوبة فيه[٢٨].

ومن المعروف أنَّ العلماء في زمان تدوين الحديث لم يكونوا يقتصرون في فنون العلوم على واحد حسب، بل كانوا موسوعيين يدرسون العلوم كافة ويبرزون في واحد منها مع سعة معرفتهم في باقيها، ولعل هذا ما يبين أن كثيراً من علماء الحديث لهم مؤلفات وكلام في الغريب.

أسباب كثرة الألفاظ الغريبة في الحديث النبوي

إنَّ كثرة اللفظ الغريب في الحديث النبوي يرجع إلى عوامل متعددة، منها ما يتعلق بالرواية نفسها، ومنها ما يتعلق بالرواة والنقلة، وقد نبه العلماء عليه، ويمكن إجماله بالنقاط الآتية:

١- إنَّ الله تعالى أيَّد رسوله بالبيان في القول، فآتاه من اللغات أعربها ومن الألسن أفصحها، فكان ينطق بجوامع الكلم بحيث يبلّغ مراد الشارع بالقليل من الكلام وأوضحه، فيسهل على السامع حفظه ووعيه، وقد يؤديه بألفاظ مجملة تحتاج إلى تفصيل وتوضيح أو بما لم تسمعها العرب من قبل، وقد تتضمن عباراته ألفاظاً شرعية ينبغي الوقوف عليها، وكان أصحابه يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوه عنه ﷺ فيوضحه لهم، لكن ذلك لم يتيسر بعد وفاته.

٢- إنَّ رسول الله ﷺ لما كان قد بُعِثَ معلماً ومُبلّغاً فهو في كل نازلة يفتي ويأمر بمعروف وينهى عن منكر وقد تختلف عباراته ويتكرر فيها بيانه فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عدة ألفاظ تحتها معنى واحد، والصحابة يؤدونها على اختلاف جهاتها كما يسمعونها.

٣- وقد يجتمع في الحديث الواحد إذا تعددت طرقه عدة ألفاظ مختلفة موجبها شيء واحد بسبب رواية بعض الصحابة للحديث بالمعنى حيث أنَّ النبي ﷺ يتكلم في بعض النوازل وبحضرته قبائل شتى ولغاتهم مختلفة ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية وليس كلهم يتيسر لضبط اللفظ وحصره أو يتعمد لحفظه ووعيه وإنما يدرك فحوى الخطاب ثم يؤديه بلغته، وهو رواية الحديث بالمعنى(٢٩).

ومهما يكن من أمر فقد كثر الكلام في الغريب حتى أصبح الفن من اللوازم التي لا بد منها في فهم الحديث وإدراك معانيه، وبدأ العلماء يؤلفون الكتب حول غريب الحديث ابتداءً من القرن الثاني من الهجرة. ومما لا شك فيه أن الغريب يكثر بتقادم السنين والابتعاد عن العهد النبوي والجهل بمقاصد الشريعة وألفاظ الشارع ومفاهيم اللغة العربية الصحيحة، حتى أصبح الحال في زماننا مما لا يستغني عنه قارئ الحديث.

طريقة العلماء في تفسير الألفاظ الغريبة

تنوعت أساليب العلماء قديماً وحديثاً في شرح الألفاظ الغريبة بين الإسهاب والإيجاز، وتوضيح مناهج العلماء في شرح الغريب يحتاج إلى دراسات كبيرة لبيانها، ليس في هذه العجالة يمكن بيانها.

والعلماء إذا وجدوا كلمة غريبة أو معنى مستغلقاً في متن الحديث رجعوا في تفسيره بما جاء في الشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف وأخبار الصحابة والتابعين وكلام العرب وخطبهم وأشعارهم وأمثالهم ومأثور كلامهم، فيبحثون في ذلك لإيضاح مادته واستكشاف معناه.

وهذا المنهج سار عليه الأوائل من الصحابة فمن بعدهم، وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنَّ الشعر ديوان العرب»[٣٠]. وإذا قُبِلَ تفسيرُ غريب القرآن الكريم بما جاء في شعر العرب وكلامهم، فتفسيرُ غريب الحديث به أولى بالقبول.

ويتوسع شراح الغريب أحياناً بذكر الأصل اللغوي للكلمة ودلالة ذلك الأصل، وبعضهم يتعدى إلى ذكر الاشتقاق والمصادر، وقد يذكرون أكثر من معنى للفظ الواحد بسبب الاشتراك في اللغة، وقد ينبهون على ما يكون في الألفاظ من الأضداد[٣١] والجمع لما جاء من ألفاظ المفرد أو المفرد من ألفاظ غريبة جاءت بصيغة الجمع وقد يذكرون اللفظ المرادف للكلمة.

بعض قواعد التأليف في غريب الحديث

هنالك جملة من الضوابط درج المؤلفون على الالتزام بها في شرحهم للغريب، منها:

١- تفسير الألفاظ الغريبة بما جاء في المأثور من الروايات الأخرى، وهو الأولى من أجل الوصول إلى مراد الشارع من اللفظ النبوي، قال ابن الصلاح: «وأقوى ما يعتمد عليه في تفسير غريب الحديث أن يظفر به مفسراً في بعض روايات الحديث»[٣٢].

وكذلك قال الإمام السخاوي أنَّ خير ما فسّر الغريب المعنى الوارد في رواية أخرى مفسراً لذلك اللفظ، وضرب عليه مثالاً، فقال: «كالدخ: بضم الدال المهملة عند الأكثر، وحكى ابن السيد فيها الفتح أيضاً، بعدها معجمة، فإنَّه جاء في رواية أخرى ما يقتضي تفسيره بالدخان، مع كونه لغة، حكاها ابن دريد وابن السيد والجوهري وآخرون»[٣٣].

٢- تفسير الغريب بما جاء عن الصحابي أو راو للقصة[٣٤].

٣- الوقوف على استعمالات ألفاظ الشارع في الحقيقة والمجاز قبل الخوض في تفسير اللفظ الغريب، وهو المسمى بالحقيقة الشرعية عند الأصوليين، قال السخاوي: «ولا يجوز حَمْل الألفاظ الغريبة من الشارع على ما وجد في أصل كلام العرب، بل لا بد من تتبع كلام الشارع والمعرفة بأنه ليس مراد الشارع من هذه الألفاظ إلا ما في لغة العرب. وأما إذا وجد في كلام الشارع قرائن بأن مراده من هذه الألفاظ معان اخترعها هو فيحمل عليها، ولا يحمل على الموضوعات اللغوية، كما هو في أكثر الألفاظ الواردة في كلام الشارع»[٣٥].

٤- الاستطراد في أحيان كثيرة بذكر فقه الحديث وما تضمنه من الأحكام والآداب المستنبطة منه[٣٦].

٥- الاستعانة بأسباب ورود الحديث، فهو مما يوضح المراد من الخبر، واللفظ الوارد فيه[٣٧].

٦- الإتيان عند شرح اللفظة الغريبة بالمقصود من الكلمة، مع الإشارة إلى وجه التصريف والاشتقاق من غير إيغال، فكتب اللغة أولى بذكر ذلك، حتى لا يخرج بشرح الغريب عن قصده[٣٨].

٧- مراعاة الفروق بين الألفاظ المتقاربة المعنى قدر المستطاع والتفريق بينها، وأفضل سبيل إلى التوصل للفرق بين كلمة وأخرى هو تأمل استعمالات الكلمة المختلفة ووضع الكلمة الأخرى محلها، عند ذلك يظهر الفرق بين الكلمتين، مثال ذلك قوله ﷺ: «ائت فلاناً فانظر إلى فتاتهم فإنه أثبت للود بينكما»[٣٩] فالود والحب متقاربان في المعنى، لكن لا يجمل استعمال الحب بدل الود لوجود الفرق بينهما، فالحب يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحكمة جميعاً، والود من جهة ميل الطباع فقط، ألا ترى أنك تقول أحب الصلاة ولا تقول أود الصلاة[٤٠].

٨- الإشارة إلى مفردة الكلمة إذا كانت مستعملة في صيغة الجمع.

٩- مراعاة أعراف الناس في كل عصر من العصور، حتى لا يؤدي مخالفته إلى عدم وضوح الشرح أو حمله على غير معناه، بشرط ألا يخرج ذلك عن صحيح اللغة.

١٠- الكلمة التي لها معان عدة في اللغة والمراد في النص أحدها يتم تعيينها بشكل مباشر ليعرف المراد من النص.

١١- التنبيه على موارد تفسير الكلمة ونسبة الأقوال لأصحابها.

واستقصاء القواعد في هذا الباب يحتاج إلى دراسات طويلة، ليس هنا موضعها، وإنما ذكرنا الظاهر منها بغية الوصول إلى جهود العلماء في شرح الغريب.

المبحث الثاني
جهود العلماء في خدمة الغريب

بذل علماؤنا منذ وقت مبكر وحتى يومنا هذا جهوداً مضنية في سبيل خدمة هذا الفن من العلوم الشرعية، من ناحية جمعه وترتيبه والتأليف فيه، وكان المحرك لهم في التأليف هو الجانب الديني، حيث يعدون ذلك قربة إلى الله تعالى، وقد وجدنا أمامنا مكتبة كبرى وتراثاً ضخماً مؤلفاً في خدمة علم الغريب، وكان لا بد لنا من التنبيه على هذه الجهود العلمية التي خدمت الدين الحنيف واللغة العربية والثقافة الإنسانية، وكلفت العلماء أربعة عشر قرناً من الزمان.

التأليف في غريب الحديث:

إنَّ الذي يبحث عن لفظ (غريب الحديث) في فهارس الكتب التي جمعت الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف ككتاب (الفهرست) للنديم و(فهرسة) ابن خير الإشبيلي و(المجمع المؤسس للمعجم المفهرس) لابن حجر و(كشف الظنون) لحاجي خليفة و(معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة، أو في فهارس الكتب التي جمعت تراجم علماء اللغة كـ(معجم الأدباء) لياقوت الحموي و(بغية الوعاة) للسيوطي وغيرها، يجد أنَّ المعاجم والمؤلفات في علم غريب الحديث هي جملة كبيرة، منها ما هو متداول معروف ومنها ما هو مفقود ولم يبق منه غير الاسم، واستيعاب كل تلك الكتب في هذا البحث فيه صعوبة، ولذلك لم يكن من وَكْدي ولا كَدّي جمعها، ولكن سأتكلم عن المشتهر منها بين العلماء، من خلال الآتي:

أ- بداية التأليف فيه:

يرجع تاريخ التأليف في فنّ غريب الحديث إلى أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري، والمشتهرُ بين العلماء أنَّ عالمين كبيرين كانا في مقدمة المؤلفين في

الغريب، هما الحافظ أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى التَّيْمي (ت٢١٠هـ)[٤١] والحافظ النَّضْر ابن شُمَيْل المازني (ت٢٠٣هـ)[٤٢].

قال العراقي في ألفيته[٤٣]:

والنَّضْـــرُ أو مَعْمَـــرٌ خُلْـــفٌ أوَّلُ مــن صــنَّفَ الغريــبَ فيمــا نَقلــوا[٤٤]

وكانت كتبهم في أجزاء صغيرة وألفاظ من الغريب قليلة، ولم تكن القلّةُ في التأليف لجهل مؤلفه بغيره من غريب الحديث، إنّما كان ذلك بسبب أمرين، الأول: أنَّ كل من بدأ في فنّ لم يُسبق إليه فإنه يكون قليلاً ثم يكبر، والثاني: أنَّ الناس يومئذ كان عندهم معرفة بلغة العرب ولم يكن الجهل باللغة قد عمّ كما حصل في العصور المتأخرة[٤٥].

قال السَّخاوي: «وممن جمع في ذلك اليسير أيضاً: الحُسين بن عياش أبو بكر السُلمي ومحمد بن المُستنير أبو عليّ المعروف بقُطْرب، وكانت وفاتهما قبل مَعْمَر، الأول بست سنين والثاني بأربع، ثم جمع عبدالملك بن قُريب عصري مَعْمَر المتوفى بعده في سنة ثلاث عشرة ومئتين كتاباً فزاد وأحسن، في آخرين من أئمة الفقه واللغة، جمعوا أحاديث تكلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذوات عدد، ولم يكد أحد منهم ينفرد عن غيره بكبير أمر لم يذكره الآخر»[٤٦].

ثم تتابعت الجهود من بعد ذلك وتسابق العلماء في الكتابة والتصنيف فيه، حتى لم يخل زمان وعصر من التأليف والكلام في فن الغريب.

وقد أورد الحافظ ابن الأثير في مقدمة كتابه (النهاية) نبذة من معاجم غريب الحديث مع وصف لكل منها، من ابتداء القرن الثاني إلى عهد الزمخشري، ونقله حاجي خليفة في «كشف الظنون»[٤٧].

ب- كتب الغريب المطبوعة:

فمن كتب الغريب التي طبعت ونشرت، حسبما وقفتُ عليها، وهي من المصادر المهمة في هذا الباب:

١- (غريب الحديث): لأبي عُبيد القاسم بن سَلاّم الهَرَوي البغدادي (ت٢٢٤هـ).

وهو كتاب كثير الفوائد جم المنافع حافل بالأحاديث والآثار الكثيرة المعاني، أفنى مؤلفه فيه عمره حيث جمعه في أربعين سنة، وكان أبو عُبيد من كبار علماء الحديث والأدب

والفقه، وقد أصبح الكتاب مورداً لكثير ممن صنف في الغريب. طُبع في دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٩٦هـ، ثم طبع مرة أخرى بتحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، ونُشر بالقاهرة سنة ١٩٨٤م[٤٨].

وعلى كتاب أبي عبيد استدراكات لابن قتيبة في كُتيب صغير سماه (إصلاح غَلَط أبي عُبيد في غريب الحديث) وبلغت مآخذ ابن قتيبة على أبي عُبيد ثلاثة وخمسين مأخذاً. وهو مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري ونُشر في دار الغرب الإسلامي ببيروت[٤٩].

٢- (غريب الحديث): لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوري (ت٢٧٦هـ).

وهو تتميم لكتاب أبي عُبيد، وشرط فيه أنْ لا يودعه شيئاً من كتاب أبي عُبيد إلا ما دعت الحاجة إليه من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض، فجاء مثل كتاب أبي عُبيد وأكثر منه. وقد قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه: «أرجو أنْ لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال»[٥٠]. طبع الكتاب بتحقيق الدكتور عبدالله الجبوري في بغداد عام ١٩٧٧م في ثلاثة أجزاء[٥١].

٣- (غريب الحديث): لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ).

وصفه ابن الأثير بأنه «كثير الفوائد جم المنافع»[٥٢]، لكن مؤلّفه أطالَ فيه فاستقصى الأحاديث بطُرق أسانيدها وبَسَطَ القول في شرح الألفاظ، وبسبب طوله وصعوبة ترتيبه تُرِكَ وهُجِرَ، ولم يصل إلينا غير المجلدة الخامسة منه من بقية حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه باب سجر إلى باب عقل من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ. وقد طبع هذا القسم في ثلاثة مجلدات بتحقيق الدكتور سليمان إبراهيم محمد العايد ونشرته جامعة أم القرى سنة ١٤٠٥هـ[٥٣].

٤- (الدلائل في غريب الحديث): لقاسم بن ثابت السَّرَقُسطي (ت٣٠٢هـ).

ذيّل به على كتابي أبي عُبيد وابن قتيبة، وكأنّ المؤلف أراد استدراك ما فاتهما من الأحاديث والآثار المشتملة على الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى بيان وإيضاح وتفسير[٥٤]. طبع بعضه في ثلاثة مجلدات بتحقيق الدكتور محمد بن عبدالله القنّاص، ونُشر في الرياض عام ٢٠٠١م[٥٥].

٥- (غريب الحديث): للخطابي حَمْد بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ).

وكان يبتغي من تأليفه استدراك ما فات أبا عُبيد وابن قتيبة وجَمْع ما لا يوجد في كتابيهما، فجاء في كتابه من المفردات الغريبة ما يداني كتاب أبي عُبيد وكتاب ابن قتيبة، وهو كتاب ممتع مفيد كتب في أوله مقدمة أطال النفس فيها في معاني الغريب والحاجة إليه. طبع في ثلاثة أجزاء بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ونُشر في مكة المكرمة سنة ٢٠٠١م.

٦- (الغريبين غريبي القرآن والحديث): لأبي عبيد أحمد بن محمد بن محمد الهروي (ت٤٠١هـ).

بدأ بتفسير غريب القرآن ثم ثنَّى بغريب الحديث وآثار الصحابة والتابعين فاستخرج الكلمات اللغوية الغربية من أماكنها وأثبتها في حروفها مرتباً لها على حروف المعجم، وهو أول كتاب في الغريب مرتباً على هذا النحو، وهو أحد مصدرين أفاد منهما الحافظ ابن الأثير في كتابه (النهاية). وقد طبع بتحقيق محمود محمد الطناحي ونشر بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ، وطبع أيضاً في ست مجلدات بتحقيق أحمد فريد المزيدي، ونشر في المكتبة العصرية سنة ١٩٩٩م.

وعليه كتاب (التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين) لمحمد بن ناصر السلامي (ت٥٥٠هـ)، ونشر بتحقيق الدكتور وليد محمد السراقبي بالمجمع الثقافي بأبي ظبي سنة ٢٠٠٣هـ[٥٦].

٧- (المجموع المُغيث في غريبي القرآن والحديث): لأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني (ت٥٨١هـ).

وهو تتمة لكتاب (الغريبين) للهوري، استدرك عليه وأورد ما لم يرد فيه، وقد قال فيه: «غير أني وجدت كلمات كثيرة شذت عن كتابه، إذ لا يحاط بجميع ما تكلم من غريب الكلم، فلم أزل أتتبع ما فاته وأكتب ما غفل عنه»[٥٧]. وقد نُشر الكتاب بعناية عبد الكريم العزباوي في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في مجلدين كبيرين سنة ١٩٨٦م.

٨- (الفائق في غريب الحديث والأثر): لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ).

وهو مرتب على حروف المعجم، وقد ذكر مؤلفه فيه جملة من الغريب تتخللها فوائد نحوية وبلاغية. وقد طبع الكتاب بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ونشر في أربعة أجزاء بدار الفكر عام ١٩٧٩م.

٩- (مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال): تأليف القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ).

وهو مرتب على حروف المعجم، جمع فيه مؤلفه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، وخصه بالموطأ والصحيحين. طبع الكتاب بفاس سنة ١٣٢٨هـ في جزئين، ومرة أخرى في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٢هـ، ومرة أخرى بتحقيق إبراهيم شمس الدين ونشر في دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤٢٣هـ[٥٨].

قال الكتاني: «واختصره ابن قرقول في كتابه مطالع الأنوار مع بعض الزيادات»[٥٩]. وابن قرقول هو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الوهراني (ت٥٦٩هـ) وهو من تلاميذ القاضي عياض[٦٠].

وقال الحافظ ابن حجر[٦١] في ترجمة محمود بن أحمد ابن خطيب الدَّهْشة (ت٨٣٤هـ): «اختصر مطالع ابن قرقول فجوده». وهو المسمى بـ«التقريب في علم الغريب»[٦٢].

١٠- (غريب الحديث): لأبي الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن عليّ بن محمد (ت٥٩٧هـ).

وهو مرتب على حروف المعجم، وكتابه مختصر مفيد يفي بالغرض دون إخلال بالقصد، قال في مقدمته: «وإنما آتي بالمقصود من شرح الكلمة من غير إيغال في التصريف والاشتقاق، إذ كتب اللغة أولى بذلك، وإنما آثرت هذا الاختصار تلطفاً للحافظ والله الموفق». وقد نشر في دار الكتب العلمية ببيروت بعناية عبد المعطي أمين قلعجي عام ٢٠٠٤م.

١١- (قنعة الأريب في تفسير الغريب من حديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين): لابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ).

وهو في مجلد واحد، حققه عليّ حسين البواب، ونشر في دار أمية بالرياض سنة ١٩٨٦م.

١٢- (النهاية في غريب الحديث والأثر): لمجد الدين ابن الأثير (ت٦٠٦هـ).

وهو مرتب على حروف المعجم، جمع فيه مؤلفه بين كتابي (الغريبين) للهروي و(المجموع المغيث) لأبي موسى المديني، مجرداً من غريب القرآن، وأضاف ما وقف عليه من المفردات الغريبة التي وجدها من خلال بحثه في المسانيد والسنن. ويعد هذا الكتاب

أشهر المؤلفات في الغريب، امتاز بالدقة والإحاطة والمنهجية في الترتيب. وقد طبع مرات عدة، منها بتحقيق طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، ونشر بتاريخ ١٩٦٣م[٦٣].

١٣- (منال الطالب في شرح طوال الغرائب): لابن الأثير أيضاً. وهو في مجلدين، طبع بتحقيق محمود محمد الطناحي، ونشر في دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٧٩م[٦٤].

١٤- (التذييل والتذنيب على نهاية الغريب): للسيوطي (ت٩١١هـ) ذيل به على كتاب ابن الأثير. وقد طبع بتحقيق عبدالله الجبوري في مجلد واحد، ونشر في دار الرفاعي بالرياض، سنة١٤٠٣هـ[٦٥].

١٥- (الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير) للسيوطي أيضاً. طبع على هامش كتاب النهاية في غريب الحديث في مصر سنة ١٣٢٢هـ. ثم طبع مفرداً بتحقيق مصطفى الذهبي في مجلدين، ونشر في دار الحديث بمصر سنة ٢٠٠٠م.

١٦- (مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار): لمحمد طاهر الصديقي الهندي الفَتَّني الكجراتي (ت٩٨٦هـ).

وهو مرتب على حروف المعجم، وجعل مؤلفه كتاب النهاية أساساً له، قال: «ولم أغادر منه إلا ما نَدَرَ أو شاع بينهم وانتشر، وأضم إلى ذلك ما في ناظر عين الغريبين من الفوائد وما عثرت عليها من غير تلك الكتب من الزوائد»[٦٦]. طبع في الهند سنة ١٢٨٣هـ.

ج- كتب أخرى في الغريب:

ومن مصنفات الغريب التي جاء ذكرها ووصفها في فهارس الكتب:

١- كتاب إسحاق بن مِرار، أبي عَمْرو الشيباني (ت٢١٣هـ). قال النديم: «رواه عنه عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن أبي عمرو»[٦٧].

٢- كتاب عليّ بن المغيرة الأثرم (ت٢٣٢هـ)[٦٨].

٣- كتاب عليّ بن عبدالله ابن المديني (ت٢٣٤هـ) في خمسة أجزاء[٦٩].

٤- كتاب عبدالله بن يحيى بن المبارك البغدادي المعروف بابن اليزيدي (ت٢٣٧هـ)[٧٠].

٥- كتاب شَمر بن حَمْدويه، أبي عَمْرو الهَرَوي (ت٢٥٦هـ). وصف بأنه كبير جداً قدر كتاب أبي عُبيد مراراً[٧١].

٦- كتاب سلمة بن عاصم، أبي محمد النحوي (توفي بعد٢٧٠هـ)[٧٢].

٧- كتاب محمد بن عبدالسلام بن ثعلبة الخُشَني (ت٢٨٦هـ). وكتابه كبير في الغريب، قال ابن خير: «نيف على عشرين جزءاً، شرح حديث النبيّ عليه الصلاة والسلام في أحد عشر جزءاً، وحديث الصحابة في ستة أجزاء، والتابعين في خمسة أجزاء»[٧٣].

٨- كتاب القاسم بن محمد بن بشار، أبي محمد الأنباري (ت٣٠٤هـ)[٧٤].

٩- كتاب سُليمان بن محمد بن أحمد، أبي موسى البغدادي المعروف بالحامض (ت٣٠٥هـ)[٧٥].

١٠- كتاب ابن كيسان، محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت٣٢٠هـ). وذكر ياقوت الحموي أنَّ كتابه نحو أربع مئة ورقة[٧٦].

١١- كتاب محمد بن القاسم بن محمد، أبي بكر ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ). قال ياقوت: «قيل إنه خمس وأربعون ألف ورقة أملاه من حفظه»[٧٧].

١٢- كتاب إسماعيل بن الحسن بن الغازي البيهقي (ت٤٠٢هـ) واسم كتابه «سمط الثريا في معاني غريب الحديث»[٧٨].

١٣- كتاب عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري (ت٥٢٩هـ) وكتابه يسمى «مجمع الغرائب»[٧٩]. وفي كشف الظنون: «وكتابه جليل الفائدة مجلد مرتب على الحروف»[٨٠].

١٤- كتاب محمد بن عليّ بن شُعيب، أبي شجاع ابن الدَّهان (ت٥٩٠هـ) وصف كتابه بأنه في ستة عشر مجلداً[٨١].

وقد قام بعض المؤلفين بتجريد الكلام على غريب واحد من مصنفات الحديث، وذلك مثل كتاب هشام بن عبدالرحمن أبي الوليد ابن الصابوني (ت٤٢٣هـ) المسمى (شرح الجامع الصحيح للبخاري) رتبه على حروف المعجم[٨٢]، وكتاب محمد بن عبدالحق ابن سليمان التلمساني (ت٦٢٥هـ) المسمى «الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب»[٨٣]. ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن خير في فهرسته من كتب في الغريب ككتاب شرح غريب أم زرع لمحمد بن القاسم أبي بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، ومثله للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، وكتاب شرح غريب كلام هند ابن أبي هالة التميمي في صفة رسول الله ﷺ لابن الأنباري أيضاً[٨٤]، وغيرها.

تنظيم معاجم الغريب:

مما هو معلوم أنَّ الغرض الأساسي من الكلام في غريب الحديث هو شرح المفردة الغريبة ومعرفة معناها وهيئتها المستعملة في الحديث، ولما كثر الكلام في الغريب وجد العلماء أنه لابد من جمع كلّ ما شرح من الألفاظ الغريبة في الحديث وتقديمه للمهتمين جملة واحدة من أجل إغنائهم عن المراجعات المتعددة لكتب مختلفة.

وقد تنوعت مناهج العلماء في عرض المفردات الغريبة في مؤلفاتهم حسب ما تمليه عليهم مداركهم وما هو متعارف عليه في أزمنتهم، ثم وجدنا أنَّ المحاولة البارزة كانت للحافظ أبي عُبيد الهَرَوي (ت٤٠١هـ) في ترتيب المفردات الغريبة على طريقة الترتيب الألفبائي[٨٥] من خلال كتابه (الغريبين غريبي القرآن والحديث)، فقد اهتم به مؤلّفه كثيراً فجمع ما كتب في مؤلفات من تقدمه من العلماء؛ القاسم بن سلاّم وابن قتيبة والخطابي، ووضع ما جمعه من كتبهم إضافة إلى ما جمعه من المفردات في كتب الحديث الأخرى ثم وضعها كلها إلى جانب ما كتب في غريب القرآن وجمعها سوية وألف منها كتابه، ورتّب الكتاب على الطريقة الألفبائية. واتسم أسلوبه بالاختصار والشمولية، مما جعل كتابه يلقى إقبالاً واسعاً، ولم يتخل كتابه عن مكانته بين العلماء، وصار كتابه وطريقة ترتيبه عمدة لمن جاء بعده[٨٦].

وممن تأثر به الحافظ ابن الأثير، حيث أنَّ هذا الذي ذكرناه من سهولة الوصول إلى المفردة الغريبة وفق هذه الطريقة إضافة إلى الخبرة الواسعة في الصناعة المعجمية التي امتلكها الحافظ ابن الأثير الجَزَري في القرن السابع الهجري هي التي جعلته يسير على طريقة الهروي وتركه للطرق الأخرى التي وجدها أمامه مثل طريقة أبي عُبيد وابن قتيبة في عدم مراعاتهما ترتيب المفردات بشكل معين، أو طريقة أبي إسحاق الحربي في الترتيب وفق المسانيد والتقاليب ومخارج الحروف[٨٧]، أو حتى وفق طريقة الجوهري في صحاحه في الترتيب على الحروف الهجائية ابتداءً من الحرف الأخير للكلمة ثم العودة إلى الحرف الأول.

لقد بذل مصنفو غريب الحديث كنظرائهم من الأدباء جهوداً كبرى في هذا المجال، فعملوا على تدوين معاجم وجوامع في شرح وتفسير الألفاظ الغريبة في النصوص الدينية (القرآن والحديث) يسهل الرجوع إليها، وخلفوا لنا خلال قرون من العمل الدؤوب آثاراً قيمة في مضمار تدوين غريب الحديث حتى أصبح علماً مستقلاً وفناً منقولاً.

كتب الغريب وإسهاماتها في اللغة وعلومها:

تعدُّ كتب غريب الحديث من الموارد التي كان لها أثر في مد العلوم العربية بمادة علمية غزيرة، فهي قد أسهمت بنصيب وافر في بناء المعجم اللغوي العربي، لما قدمته من تأصيل واسع للمفردات العربية من حيث استعمالاتها وشواهدها وجذورها العربية ولغاتها وضبط حروفها اللغوية والتمييز بين الفصيح وغير الفصيح منها، فضلاً عن الجانب التنظيمي في ذلك، ويكفي أن نذكر مثلاً أنَّ معجم (لسان العرب) لابن منظور(ت٧١١هـ) قد اعتمد في مفرداته اللغوية على أصول خمسة منها كتاب (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، فقد قال ابن منظور في أول كتابه: «وقصدتُ توشيحه بجليل الأخبار وجميل الآثار مضافاً إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم والكلام على معجزات الذكر الحكيم، ليتحلى بترصيع دررها عِقْدُهُ ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حَلُّهُ وعَقْدُهُ. فرأيتُ أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجَزَري قد جاء في ذلك بالنهاية وجاوز في الجودة حدّ الغاية... وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمتُّ بها ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أني جمعتُ فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، وبسطتُ القول فيه، ولم أشبع باليسير، وطالبُ العلم منهوم، فمن وقف فيه على صواب أو زلل أو صحة أو خلل فعهدتُه على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول، لأنني نقلتُ من كل أصل مضمونه، ولم أبدل منه شيئاً فيقالَ «فإنَّما إثمه على الذين يبدلونه»»[٨٨].

ولما كان البيان والبلاغة العربية قد جمعت للنبي ﷺ في منطقه وعلى لسانه[٨٩]، فكان يتكلم بجزيل العبارة وجوامع الكلم، لذلك نجد أنَّ كتب الغريب كانت لها دور مهم في إظهار الوجوه البلاغية في الألفاظ النبوية من تشبيه وكناية واستعارة وغير ذلك من فنون البلاغة[٩٠].

ومما تضمنته كتب الغريب ذكر بعض الأخبار والأمثال والأشعار المنقولة عن العرب، والتي يستفيد منها شارح الغريب في تأييد المعنى المراد في اللفظة الغريبة، قال ابن قتيبة: «وكرهتُ أن يكون الكتاب مقصوراً على الغريب، فأودعته من قصار أخبار العرب وأمثالها، لتكثُرَ فائدة الكتاب ويَمْتَع قارئه ويكون عوناً على معرفته وتحفُّظه...ورأيتُ أن أفتح كتابي هذا بتبيين الألفاظ الدائرة بين الناس في الفقه وأبوابه، والفرائض وأحكامها، لتُعرف من أين أُخذت تلك الحروف فيستدل بأصولها في اللغة على معانيها كالوضوء والصلاة والزكاة والأذان والصيام والعتاق والطلاق والظِّهار والتدبير وأشباهها، مما لا يكمل علم المتفقه

والمفتي إلا بمعرفة أصوله، ثم أتبعت ذلك تفسير ما جاء في الحديث من ذكر القرآن وسوره وأحزابه، وسائر كتب الله، ثم ما جاء في الحديث والكتاب من ذكر الكافرين والظالمين والفاسقين والمنافقين والفاجرين والملحدين، ومن أين أُخذ كلُّ اسم منها، ثم ما جاء في الحديث من ذكر أهل الأهواء الرافضة والمُرْجِئة والقدرية والخوارج»[٩١].

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا أنَّ شراح الحديث كانت فنونهم منوعة ومعارفهم واسعة، وكان مما لديهم باع طويل في اللغة وفنونها بل هم أئمة في ذلك، كأبي عبيد وابن قتيبة والزمخشري، لذلك كانت لكتبهم قبول عند العلماء ولأقوالهم منزلة لا يرجع لغيرهم فيها، وهذا ما يزيد المؤلفات في الغريب قوة ورصانة، وكانت هذه الكتب مراجع لأهل اللغة وطلبة الحديث والفقه وغيرهم.

الخاتمة

لقد مَنَّ الله عليَّ وسَهَّلَ، فأتممتُ كتابة هذا البحث على مهل، وكانت لطائفُ رحماتهِ تغمرني وفي أوقات كتابته تتنزل، فلك الحمدُ يا ربنا على عظيم مَنِّك، وأسألك التوفيقَ والسَّدادَ في القول والعَمَل، وأنْ تجنبني الخَطَلَ والزَّلَل.

وبعد، فليس في بحث بحجم هذا الذي كتبته في الصفحات السابقة، يمكن أن يكون محيطاً بجميع ما قدَّمه علماؤنا الأفذاذ- محدثون ولغويون- من جهود لخدمة اللفظ الغريب في الحديث النبوي، بل هو يحتاج إلى دراسات كبيرة ومنوعة للوقوف على ضخامة الموروث العلمي الذي وصلنا منهم والذي لم يصلنا وأتلفته عوامل الدهر، وحسبي في هذا البحث أنْ يكون قد سلّط الضوء على بعض تلك الجهود التي كان لها عظيم الأثر على الإنسانية جمعاء.

وقد سجلتُ أثناء جمعي للمادة وكتابتي، بعض النتائج التي ينبغي ذكرها هنا في خاتمة البحث، وهي كالآتي:

١- إنَّ (غريب الحديث) من العلوم التي لها اتصال بالحديث النبوي الشريف، فهو يتناول الألفاظ الغامضة الواردة في السنة النبوية وبيان معناها وشرحها، حتى يتيسر للناس إدراكها دون عناء.

٢- إنَّ شرح المفردات والألفاظ النبوية الغامضة من مهام اللغويين، إذ أن الدراسة التي تتعلق بالكلمة من حيث معناها وأصلها ومفردها أو جمعها وغير ذلك، كله يتصل بالجانب اللغوي. أما الوقوف على معنى مصطلح الغريب، وتنبيه طلبة العلم لأهميته، وذكر جهود العلماء فيه، فهذا مناط بالمُحدِّثين. مع التأكيد هنا على موسوعية علمائنا في زمان التدوين لتشمل معرفتهم بالعلوم جلها.

٣- صعوبة الولوج في تفسير الغريب، وعدم الخوض فيه لمن لا يملك أدواته، وترك ذلك للجهابذة من أهل الاختصاص.

٤- ضخامة المورث العلمي في الغريب قديماً وحديثاً، وإسهامه في صناعة المعجم الهجائي، وفي تطوير علوم البلاغة العربية.

هوامش البحث

(١) قال الإمام مجد الدين ابن الأثير في النهاية١/٣-٤: «الألفاظ تنقسم إلى مفردة ومركبة، ومعرفة المفردة مقدّمة على معرفة المركبة، لأن التركيب فَرْعٌ عن الإفراد. والألفاظ المفردة تنقسم قسمين: أحدهما خاصٌّ والآخر عامٌّ، أما العام فهو ما يَشْتَرك في معرفته جمهور أهل اللسان العربي مما يَدُورُ بينهم في الخطاب، فهم في معرفته شَرَعٌ سَوَاء أو قريبٌ من السَّواء، تناقلوه فيما بينهم وتداولوه وتلقَّفوه من حال الصَّغَر لضرورة التفاهم وتعلموه، وأما الخاصُّ فهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية والكلمات الغريبة الوحشية التي لا يعرفها إلا من عُني بها وحافظ عليها واستخرجها من مظانها، وقليل ما هم، فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص من الألفاظ أهمَّ مما سواه وأولى بالبيان مما عداه ومقدماً في الرتبة على غيره، ومَبْدُوًّا في التعريف بذكره، إذ الحاجة إليه ضرورية في البيان لازمة في الإيضاح والعِرْفان».

(٢) يملخ في الباطل ملخاً: أي يمر فيه مراً سهلاً. وينفض مذرويه: أي يهز منكبيه مهدداً. وهو من كلام الإمام الحسن البصري. ينظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣١١/٤ و٣٥٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٢. وقوله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: فلا تمنعوهن من الزواج. ينظر غريب القرآن للسجستاني ص ٤٩، وتفسير ابن كثير ٣٧٠/٢.

(٤) سورة الحج: الآية ١١. وقوله ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: على طرف، والمراد عدم التمكن في الدين والعبادة على غير طمأنينة. ينظر تفسير ابن كثير ٢١/١٠.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٩. وقوله ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي متبوعاً، ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعاً من النساء. ينظر غريب القرآن ص٧٤، وتفسير ابن كثير ٥٥/٣.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٠. و﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: هو الذي يولد أعمى. ينظر غريب القرآن ص٧، وتفسير ابن كثير ٦٥/٣.

(٧) ذكره بتمامه أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث: ١/ ٢٦٧-٢٦٩ وينظر التفاصيل فيه.

(٨) الشعر من قصيدة لرؤبة بن العجاج. ذكره الجمحي في طبقات فحول الشعراء ص ٨٩.

(٩) الصاحبي في فقه اللغة ص٤٠-٤٢.

(١٠) ينظر مقدمة غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ١/٤٠.

(١١) ينظر كتب غريب القرآن للدكتور حسين نصار ص٢. وذكر أنه توجد نسخة منه في مكتبة برلين.

(١٢) ينظر كشف الظنون ٢/١٢٠٣، وسيأتي ذكر المؤلفات في غريب الحديث بشكل مفصل.

(١٣) ينظر كشف الظنون ٢/١٢٠٣.

(١٤) ينظر الصاحبي في فقه اللغة ص٣١.

(١٥) ننبه إلى أن (غريب الحديث) بمفرديه المتكون من الغريب والحديث، يدل على العلم الذي سنتناول مناقشته في بحثنا هذا، فأما (الغريب) فسيأتي تعريفه، وأما (الحديث) فأهملنا تناوله لمعرفة القصد منه هنا، وهو كل ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية.

(١٦) مادة (غرب) ١/٦٢٨.

(١٧) مقدمة غريب الحديث ١/٧٠.

(١٨) إن إطلاق مصطلح (غريب) على بعض ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي لا يتناقض مع البيان الإلهي والبلاغة النبوية التي يعلمها كل إنسان، فالقرآن فصيح بعيد عن الغرابة التي بمعنى الشواذ والإبهام، فهو منزل بلسان عربي مبين، وكذلك الحال فيما جاء على لسان النبي ﷺ. أما مراد العلماء من الغرابة في كتب الغريب فهي شرح المفردات وتفسيرها، فهي غريبة باعتبار من يجهلها، ليس غير.

(١٩) علوم الحديث ص٢٣٥. وينظر تدريب الراوي ٣/٤٠٣.

(٢٠) فتح المغيث ٤/٢٢.

(٢١) ينظر علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٣٤، وفتح المغيث ٤/٣١.

(٢٢) الفائق في غريب الحديث ١/٩.

(٢٣) فتح المغيث ٤/٢٢.

[٢٤] ينظر علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٣٥، وفتح المغيث ٢٢/٤، وتدريب الراوي ٤٠٣/٣، وفتح الباقي بشرح ألفية العراقي ص٤٩٨.

[٢٥] ينظر فتح الباري ٢٥٤/١٣.

[٢٦] ينظر غريب الحديث للخطابي ٥٧/١.

[٢٧] ينظر فتح المغيث ١/٤-٥، وفتح الباقي: ص ٤٨٨.

[٢٨] ينظر فتح المغيث ٢٢/٤.

[٢٩] ينظر غريب الحديث للخطابي ٦٨/١، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/١-٥.

[٣٠] ينظر غريب الحديث للخطابي ٥٥/١، والإتقان للسيوطي ٥٥/٢.

[٣١] أي المضاد للفظة الغريبة، ومثاله قول أبي موسى المديني في المجموع المغيث في مادة أجل (٣٤/١): (والتأجيل ضد التعجيل) .

[٣٢] علوم الحديث ص٢٣٥.

[٣٣] فتح المغيث ٣١/٤-٣٢.

[٣٤] ينظر فتح المغيث ٣٥/٤.

[٣٥] فتح المغيث ٣١/٤.

[٣٦] ينظر فتح المغيث ٣٥/٤.

[٣٧] ينظر فتح المغيث ٣٥/٤.

[٣٨] ينظر غريب الحديث لابن الجوزي ٤/١.

[٣٩] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٣٧٠/٢٠ رقم (٨٦٢).

[٤٠] ينظر الفروق لأبي هلال العسكري ص٩٩.

[٤١] وصف ابن الأثير كتابه في النهاية ٥/١ بأنه صغير ذا أوراق معدودات. وهو أحد مصادر كتاب غريب الحديث للقاسم بن سلام كما في معجم الأدباء ٢١٩٩/٥. وينظر فهرسة ابن خير ص ١٥٧ (٢٨٨).

[٤٢] قال ابن الأثير في النهاية١/٥-٦ عن كتابه بأنه: (أكبر من كتاب أبي عبيدة، وشرح فيه وبَسَط، على صغر حجمه ولطفه). وينظر معجم الأدباء ٢٧٦١/٦.

(٤٣) ينظر فتح المغيث ٢٢/٤، وفتح الباقي ص٤٩٦.

(٤٤) هذا هو المشهور في أنَّ أول من صنّف في هذا الفن هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤٠٥/١٢، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ٢٧٠٤/٦، وابن الأثير في النهاية ٥/١، والسيوطي في بغية الوعاة ٢٩٤/٢. وذهب الحاكم النيسابوري إلى أنَّ أول من ألف في الغريب هو النَّضْر بن شُمَيْل، فقد قال في معرفة علوم الحديث (ص٨٨): «وهذا علم قد تكلم فيه جماعة من أتباع التابعين منهم مالك والثوري وشعبة فمن بعدهم، فأول من صنف الغريب في الإسلام النَّضْر بن شُمَيْل له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع». قال السخاوي في فتح المغيث ٢٤/٤: «وهو الظاهر فإنه مات في سنة ثلاث وثمانين ومئة، ومشى ابن الأثير في خطبة النهاية ثم المحب الطبري في تقريب المرام له على الثاني، لكن بصيغة التمريض منهما، مع أن وفاته كانت في سنة عشر ومئتين، بعد الأول بسبع وعشرين عاماً». وثمة قول ثالث ذكره الدكتور حسين نصار في كتابه المعجم العربي ٤٢/١ ورجحه بأن أول كتاب في هذا الفن ألفه أبو عدنان عبدالرحمن بن عبدالأعلى السلمي وهو معاصر ليونس بن حبيب أستاذ أبي عبيدة، إذ يقولون: «إن له كتاباً في غريب الحديث ذكر فيه الأسانيد، وصنفه على أبواب السنن والفقه، إلا أنه ليس بالكبير». وبكل حال فهؤلاء العلماء متعاصرون ومن المحتمل أن يسبق أحدهما الآخر في التأليف، فالله أعلم.

(٤٥) ينظر النهاية في غريب الحديث ٥/١.

(٤٦) فتح المغيث ٢٤/٤.

(٤٧) ١٢٠٣/١- ١٢٠٧.

(٤٨) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/١ وينظر مقدمة المحقق. وقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٩٦/١٠ أن أول من سمع الغريب من أبي عبيد، يحيى بن معين. وساق رواية عبد الله بن أحمد، قال: عرضتُ كتاب غريب الحديث لأبي عبيد على أبي، فاستحسنه وقال: جزاه الله خيراً.

[٤٩] ينظر إصلاح غلط أبي عبيد: ص٤، ومقدمة المحقق. وفي بغية الوعاة للسيوطي١/٣٠٥ أن الحافظ أبا سعيد أحمد بن خالد الضرير ألف رداً على أبي عبيد في غريب الحديث والغريب المصنف. وفي بغية الوعاة أيضاً ٥٠٩/١ ذكر السيوطي كتاب الرد على أبي عبيد تأليف أبي علي الحسن بن عبدالله الأصبهاني المعروف بلغذة (ت٢٨٠هـ). وأورد الزركلي في الأعلام ٢١٣/١ كتاب (شرح الغريب المصنف لأبي عبيد) تأليف أبي العباس أحمد بن محمد المرسي المالكي (ت٤٦٠هـ). وهنالك كتاب (تقريب المرام في غريب القاسم بن سلام) تأليف أحمد بن عبد الله الطبري (ت٦٩٤هـ). ينظر فتح المغيث ٢٤/٤.

[٥٠] غريب الحديث ١/ ٦-٧.

[٥١] ولابن قتيبة أيضاً كتاب (المسائل في معاني غريب القرآن والحديث مما لم يقع في كتاب الغريب) ذكره ابن خير في فهرسته ص٣٣٧. ولأبي عليّ الحسن بن عبدالله الأصبهاني المعروف بلغذة كتاب (الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) ذكره السيوطي في بغية الوعاة ٥٠٩/١ .

[٥٢] النهاية في غريب الحديث ٦/١.

[٥٣] قال الحاكم: سمعت محمد بن صالح القاضي يقول: لا نعلم بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب والفقه والحديث والزهد، ثم ذكر له كتاباً في غريب الحديث لم يسق إليه. ينظر سير أعلام النبلاء ٣٥٩/١٣.

[٥٤] ولذلك جاءت تسميته عند البعض بـ(الدلائل في شرح غريب حديث رسول الله ﷺ مما ليس في كتاب أبي عبيد ولا ابن قتيبة). ينظر مقدمة كتاب الدلائل ٩٥/١.

[٥٥] ذكر أبو الفضل عباس بن عمرو الوراق أنه سمع أبا عليّ القالي إسماعيل بن القاسم يقول: «كتبت كتاب الدلائل، وما أعلم وضع بالأندلس مثله)، قال ابن الفرضي: (ولو قال: ما وضع مثله بالمشرق ما أبعد، مات ولم يكمله، فأتمه أبوه أبو القاسم ثابت بن حزم بن عبدالرحن بن مطرف السرقسطي الحافظ المشهور، المتوفى بسرقسطة سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة وثلاث مئة» (تاريخ علماء الأندلس: ٣٦١/١). وفي كلام ابن الفرضي إشارة إلى نسبة الكتاب إلى أبيه، ومنهم من نسبه إلى ابنه ثابت، والصواب أنه للقاسم بن ثابت، قال

الحميدي في ترجمة ثابت بن قاسم: «روى كتاب غريب الحديث الذي لأبيه عنه، ورأيت من ينسب الكتاب إلى ثابت، ولعله من أجل روايته إياه وزياداته فيه نسبه إليه، وإلا فالكتاب من تأليف قاسم بن ثابت أبيه، هكذا قال لنا أبو محمد علي بن أحمد-يعني ابن حزم- وغيره» (جذوة المقتبس ص١٨٥).

(٥٦) وهنالك مختصرات عدة لكتاب الغريبين، منها مختصر ألفه الفقيه أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي الشافعي (ت٤٤٧هـ) وسماه (تقريب الغريبين)، ومختصر ألفه أبو المكارم الوزير عليّ بن محمد النحوي (ت٥٦١هـ)، ومختصر آخر للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي (ت٦٩٧هـ). ينظر النهاية لابن الأثير ١٠/١، وفتح المغيث ٢٧/٤-٢٨.

(٥٧) المجموع المغيث ٤/١.

(٥٨) قال السخاوي: (وهو أجل كتاب جمع فيه بين ضبط الألفاظ واختلاف الروايات وبيان المعنى، لكنه خصه بالموطأ والصحيحين مع ما أضاف إليه من مشتبه الأسماء والأنساب) فتح المغيث ٢٩/٤، وقال ابن فرحون المالكي: «لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلاً بحقه» الديباج المذهب ص٢٧٢.

(٥٩) الرسالة المستطرفة ص١٥٧.

(٦٠) قال السخاوي في فتح المغيث٢٩/٤-٣٠ عن كتاب المطالع: «والظاهر أنه منتزع من المشارق لشيخه، مع التوقف في كونه نسبه لنفسه. وقد نظمه الإمام شمس الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الموصلي فأحسن ما شاء».

(٦١) في المجمع المؤسس ٣٤٦/٣.

(٦٢) وهو في مجلدين ويوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية، ينظر الأعلام للزركلي ١٦٢/٧.

(٦٣) وهنالك مختصرات على كتاب (النهاية) منها مختصر لعيسى بن محمد الصفوي (ت٩٥٣هـ) في قريب من نصف حجمه، ومختصر للشيخ علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، ونظمه الشيخ إسماعيل بن محمد بن بردس البعلي (ت٧٨٦هـ) وسماه (الكفاية في نظم النهاية) ذكره الزركلي ٣٢٤/١. وقد قال السيوطي عن كتاب النهاية: «وهو

أحسن كتب الغريب وأجمعها وأشهرها الآن وأكثرها تداولاً، وقد فاته الكثير، فذيل عليه الصفي الأرموي بذيل لم نقف عليه. قال: وقد شرعت في تلخيصها تلخيصاً حسناً مع زيادات جمة والله أسأل الإعانة على إتمامها». الدر النثير بهامش كتاب النهاية ١/١٠.

(٦٤) ولابن الأثير أيضاً شرح غريب كتاب (جامع الأصول) نشر في مقدمة (جامع الأصول).

(٦٥) وكثرة الاستدراك والتأليف على كتاب النهاية، يدل على أهميته وشهرته بين طلبة العلم، وهو متفق عليه عند العلماء ممن جاء بعد ابن الأثير رحمه الله.

(٦٦) مجمع بحار الأنوار ١/٣.

(٦٧) ينظر الفهرست لابن نديم ص ٧٥، ومعجم الأدباء ٢/٦٢٧، وبغية الوعاة ١/٤٤٠.

(٦٨) ينظر معجم الأدباء ٥/١٩٧٠، وبغية الوعاة ٢/٢٠٦.

(٦٩) ذكره الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(٢/٣٠٢)، ثم قال عن مؤلفات ابن المديني: «وجميع هذه الكتب قد انقرضت، ولم نقف على شيء منها إلا على أربعة أو خمسة حسب».

(٧٠) ينظر فتح المغيث ٤/٢٥.

(٧١) ينظر معجم الأدباء ٣/١٤٢١، والنهاية في غريب الحديث ١/٧ وفتح المغيث ٤/٢٥-٢٦ وبغية الوعاة ٢/٥.

(٧٢) ينظر معجم الأدباء ٣/١٣٨٥، وطبقات القراء لابن الجزري ١/٣١١، وبغية الوعاة ١/٥٩٦.

(٧٣) فهرسة ابن خير ص١٦٣ (٢٩٥). وينظر بغية الوعاة ١/١٦٠.

(٧٤) ينظر معجم الأدباء ٥/٢٢٢٨، وبغية الوعاة ٢/٢٦١.

(٧٥) ينظر معجم الأدباء ٣/١٤٠١.

(٧٦) معجم الأدباء ٥/٢٣٠٧. وينظر بغية الوعاة ١/١٩.

(٧٧) معجم الأدباء ٦/٢٦١٧. وينظر وفيات الأعيان ٤/٣٤٢، وبغية الوعاة ١/٢١٤.

(٧٨) ينظر معجم الأدباء ٦/١٤٠، وبغية الوعاة ١/٤٤٥.

(٧٩) ينظر سير أعلام النبلاء ١٧/٢٠، وفتح المغيث ٢٩/٤. ومنه نسخة خطية ذكرها بروكلمان في تاريخه ٢٤٥/٦-٢٤٦ النسخة العربية.

(٨٠) كشف الظنون ١٢٠٥/٢.

(٨١) ينظر بغية الوعاة ١٨٠/١.

(٨٢) ينظر فهرسة ابن خير ص١٦٧، وهدية العارفين ٥٠٩/٢. وقد خصص الحافظ ابن حجر العسقلاني الفصل الخامس من مقدمة فتح الباري للألفاظ الغريبة في صحيح البخاري ورتبها على حروف المعجم، ينظر هدي الساري ص٧٧.

(٨٣) حققه عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، ونشر بالرياض سنة ٢٠٠١م.

(٨٤) فهرسة ابن خير ص١٦٧.

(٨٥) الترتيب الألفبائي: هو ترتيب المفردات في الكتاب مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على حروف الهجاء (أ ب ت ث)... إلخ. وتعد طريقة الألفبائية أفضل طرق تنظيم المواد العلمية في المؤلفات، ولذلك لاقت قبولاً بين العلماء حتى يومنا هذا في العلوم كافة. وقد اتفق الكتاب أن علماء الحديث كانوا أوائل الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء. ينظر المعجم العربي بين الماضي والحاضر للدكتور عدنان الخطيب ص٣٢.

(٨٦) قال الحافظ ابن الأثير في النهاية (٩-٨/١) في وصف كتاب الهروي: «فلما كان زمن أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب الإمام أبي منصور الأزهري اللغوي، وكان في زمن الخطابي وبعده وفي طبقته، صنف كتابه المشهور السائر في الجمع بين غريبي القرآن العزيز والحديث، ورتبه مقفى على حروف المعجم على وضع لم يسبق في غريب القرآن والحديث إليه، فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها وأثبتها في حروفها وذكر معانيها، إذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمات الغريبة لغة وإعراباً ومعنى، لا معرفة متون الأحاديث والآثار وطرق أسانيدها وأسماء رواتها، فإن ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله. ثم إنه جمع فيه من غريب الحديث ما في كتاب أبي عبيد وابن قتيبة وغيرها ممن تقدمه عصره من مصنفي الغريب، مع ما أضاف إليه مما تتبعه من كلمات لم تكن في واحد من الكتب المصنفة قبله، فجاء كتابه جامعاً في الحسن بين الإحاطة

والوضع، فإذا أراد الإنسان كلمة غريبة وجدها في حرفها بغير تعب، إلا أنه جاء الحديث مفرقاً في حروفه كلماته حيث كان هو المقصود والغرض، فانتشر كتابه بهذا التسهيل والتيسير في البلاد والأمصار، وصار هو العمدة في غريب الحديث والآثار، وما زال الناس بعده يقتفون هديه ويتبعون أثره ويشكرون له سعيه ويستدركون ما فاته من غريب الحديث والآثار ويجمعون فيه المجاميع».

(٨٧) رتبه الإمام الحربي بحسب مسانيد الصحابة، مبتدئاً بالأربعة الخلفاء، ثم بعدد من العشرة المبشرين بالجنة، وقسّم مسند الصحابي إلى أحاديث، مبوباً على ذلك، فيقول: الحديث الأول...الحديث الثاني، وهكذا، وبوب بعد ذلك بأصول الألفاظ الغريبة، وقد رتبها بحسب الحرف الأول على المخارج بحيث يقدم أبعد الحروف مخرجاً في الحلق، ورتب كل لفظة من ذلك على التقاليب، مثل قوله: غريب ما روى أسامة بن زيد عن النبي ﷺ الحديث الأول: باب خف، ثم باب خوف، ثم باب خفى، ثم باب أخفى، ثم باب فخ، ورتب الأخبار في كل باب بتقديم المرفوع ثم الموقوف ثم المقطوع. ينظر مقدمة غريب الحديث للحربي.

(٨٨) لسان العرب ١٢/١.

(٨٩) وفي ذلك يقول الزمخشري: «إنَّ البيان العربي كأن الله عزّت قدرته مَخَضه وألقى زُبْدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأفر سلام، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل، وما من مِصْقع يناهزه إلا رجع فارغ السَّجْل، وما قُرن بمنطقه منطقٌ إلا كان كالبِرذَون مع الحصان المُطَهّم، ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوَضَح في نُقْبة الأدهم. قال عليه السلام: أوتيتُ جوامعَ الكلم. وقال: أنا أفصحُ العرب بَيْد أني من قريش واستُرضعت في بني سعد بن بكر». ينظر الفائق ١١/١.

(٩٠) ينظر مثلاً النهاية في غريب الحديث: ٢٠٧/١ و٣٢٤ و٤٧٠/٣ و١١٨/٥.

(٩١) غريب الحديث ٥/١-٦.

المصادر

١- **الإتقان في علوم القرآن:** للسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م.
٢- **إصلاح غلط أبي عبيد:** لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ). تحقيق عبدالله الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٩م.
٣- **الأَعْلام:** لخير الدين الزِّرِكْلي. ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
٤- **الاقتضاب في غريب الموطأ وأعرابه على الأبواب:** لمحمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني (ت٦٢٥هـ). تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، الرياض ٢٠٠١م.
٥- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** للسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م.
٦- **تاريخ الأدب العربي:** لبروكلمن. ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة ١٩٥٩م.
٧- **تاريخ بغداد:** للخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ). مصورة دار الكتاب في بيروت، دون تاريخ.
٨- **تاريخ التراث العربي:** لفؤاد سزكين. طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ١٤٠٣هـ.
٩- **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس:** لابن الفرضي، عبدالله بن محمد (ت٤٠٣هـ). الدار المصرية للتأليف، القاهرة ١٩٦٦م.
١٠- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:** للسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق طارق بن عوض الله، الرياض ٢٠٠٣م.
١١- **التذييل والتذنيب على نهاية الغريب:** للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق عبدالله الجبوري، دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٣هـ.
١٢- **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٤٤هـ). تحقيق مجموعة من الأساتذة، مؤسسة قرطبة، القاهرة ٢٠٠٠م.
١٣- **التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف وخطأ في تفسيرها ومعانيها وتحريف في كتاب الغريبين:** لمحمد بن ناصر السلامي (ت٥٥٠هـ). تحقيق وليد محمد، المجمع الثقافي بأبي ظبي ٢٠٠٣م.

١٤- **جامع الأصول في أحاديث الرسول:** لابن الأثير، المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ). تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دمشق ١٣٨٩هـ.
١٥- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع:** للخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ). تحقيق محمد رأفت سعيد، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠١هـ.
١٦- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس:** للحميدي، محمد بن فتوح (ت٤٨٨هـ). الدار المصرية للتأليف، القاهرة ١٩٥٢م.
١٧- **الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير:** للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث، مصر ٢٠٠٠م.
١٨- **الدلائل في غريب الحديث:** لقاسم بن ثابت السَّرَقُسطي (ت٣٠٢هـ). تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله القنّاص، الرياض ٢٠٠١م.
١٩- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب:** لابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت٧٩٩هـ). تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
٢٠- **سير أعلام النبلاء:** للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ). تحقيق جماعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ.
٢١- **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها:** لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ). المكتبة السلفية، القاهرة ١٩١٠م.
٢٢- **طبقات فحول الشعراء:** لمحمد بن سلام الجُمحي. تحقيق محمود شاكر، مطبعة العاني، القاهرة، دون تاريخ.
٢٣- **علوم الحديث:** لابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن (ت٦٤٣هـ). تحقيق محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، دون تاريخ.
٢٤- **غاية النهاية:** لابن الجزري، محمد بن محمد (ت٨٣٣هـ). القاهرة ١٩٣٢م.
٢٥- **غريب الحديث:** لابن الجوزي، عبد الرحمن بن عليّ (ت٥٩٧هـ). تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م.

٢٦- **غريب الحديث:** لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت٢٢٤هـ). دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٦هـ.

٢٧- **غريب الحديث:** لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ). تحقيق عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ.

٢٨- **غريب الحديث:** للحربي، إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ). تحقيق سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ.

٢٩- **غريب القرآن:** للسجستاني، أبي بكر محمد بن عزيز (ت٣٣٠هـ). تحقيق مجموعة من الأفاضل، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٣م.

٣٠- **الغريبين غريبي القرآن والحديث:** لأبي عبيد الهروي أحمد بن محمد (ت٤٠١هـ). تحقيق محمود محمد الطناحي، القاهرة ١٣٩٠هـ.

٣١- **الفائق في غريب الحديث:** للزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ). تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.

٣٢- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ). مصورة دار الفكر في بيروت، عن الطبعة السلفية في مصر.

٣٣- **فتح الباقي بشرح ألفية العراقي:** لأبي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ). تحقيق حافظ ثناء الله الزاهدي، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٩م.

٣٤- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث:** للسخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ). تحقيق علي حسين، دار الإمام الطبري بيروت ١٩٩٢م.

٣٥- **الفهرست:** للنديم، محمد بن إسحاق الوراق (ت٣٨٠هـ). تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م.

٣٦- **فهرسة ابن خير الإشبيلي:** محمد بن خير (ت٥٧٥هـ). تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.

٣٧- **قنعة الأريب في تفسير الغريب من حديث رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين:** لابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ). تحقيق عليّ حسين البواب، دار أمية، الرياض ١٩٨٦م.

٣٨- **كتب غريب القرآن:** للدكتور حسين نصار. نسخة الموسوعة الشاملة.

٣٩- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** لحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله. دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
٤٠- **لسان العرب:** لابن منظور، محمد بن مُكْرَم (ت٧١١هـ). دار المعارف القاهرة، دون تاريخ.
٤١- **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار:** لمحمد طاهر الهندي الفَتَّني (ت٩٨٦هـ). الهند ١٢٨٣هـ.
٤٢- **المجمع المؤسس للمجمع المفهرس:** لابن حجر العسقلاني، علي بن أحمد (ت٨٥٢هـ). تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٤م.
٤٣- **المجموع المُغيث في غريبي القرآن والحديث:** لأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني (ت٥٨١هـ). تحقيق عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٩٨٦م.
٤٤- **مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال:** للقاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ). تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٣هـ.
٤٥- **معجم الأدباء:** لياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ). تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م.
٤٦- **المعجم العربي:** للدكتور حسين نصار. نشر بدار مصر للطباعة ١٩٦٨م.
٤٧- **المعجم العربي بين الماضي والحاضر:** للدكتور عدنان الخطيب. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٩٩٤م.
٤٨- **المعجم الكبير:** للطبراني، سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ). تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، دوت تاريخ.
٤٩- **معرفة علوم الحديث:** للحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله (ت٤٠٥هـ). تحقيق معظم حسين، مصورة المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٧هـ.
٥٠- **منال الطالب في شرح طوال الغرائب:** لابن الأثير، المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ). تحقيق محمود الطناحي، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٧٩م.

٥١- **النهاية في غريب الحديث:** لابن الأثير، المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ). تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مصورة دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
٥٢- **هدي الساري مقدمة فتح الباري:** لابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ). مصورة دار الفكر، عن الطبعة السلفية.
٥٣- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين:** لإسماعيل باشا البغدادي. مطبعة البهية، استانبول ١٩٥١م.
٥٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** لابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ). تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٨م.